التبرع
والاحتساب عليه

إعداد الفقير إلى عفو ربه
عبيد بن عبد العزيز بن عبيد السليمي

مكتبة الحرمين / الرياض
عالم الكتب

التبرع

والاحتساب عليه

بسم الله الرحمن الرحيم

جَمِيعُ حُقُوقُ الطَبْعِ مَحفُوظَة

الطبعة الأولى

١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م

بسم الله الرحمن الرحيم

تقريض

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين وقدوة الناصحين والمصلحين ، سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .

أما بعد ، فقد رغب الأخ الأستاذ الفاضل عبيد بن عبد العزيز العبيد السلمي أن أطلع على البحث الذي دبجه يراعه وامتد إليه باعه . وقد أسماه « **التبرج والاحتساب عليه** » . وقد نال به درجة الماجستير من المعهد العالي للدعوة الإسلامية بالمدينة المنورة . وفعلاً قرأت كثيراً من المواضيع التي تطرق اليها في أبحاثه . وأقول ـ والحق يقال ـ قد أجاد وأفاد الأخ عبيد بن عبد العزيز فيما كتب في هذا الموضوع المهم الذي له أبعاده وله نتائجه وأخطاره ، ألا وهو حجاب المرأة المسلمة واحتشامها وتسترها عن الرجال الأجانب وإبعادها عن المخالطة المحرمة في شريعة الإسلام . وليس الخبر كالعيان ، فالأستاذ عبيد بن عبد العزيز ـ بارك الله في جهوده ـ رتب ما كتبه أحسن ترتيب ونظمه أجمل تنظيم ، جزاه الله عن الإسلام والمسلمين خير جزاء ، واكثر في المسلمين من أمثاله .

ومن المعروف ان السفور والتبرج ، واختلاط النساء بالرجال الأجانب ، كل ذلك من أقوى أسباب المحن والبلايا والشر والفساد ، ولا فرق فيما اذا كان الاختلاط في مدرسة أو متجر أو مصنع أو دائرة حكومية ، كل ذلك من أسباب سقوط أمة الإسلام وضياعها وتدهورها ، وفساد أخلاقها . وقد قال ﷺ : « ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء » . وقال عليه الصلاة والسلام : « اتقوا الدنيا واتقوا النساء » . فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء ، وحيث ان الكفرة جميعا هم اعداء للإسلام والمسلمين وخاصة الشيوعية والماسونية العالمية اليهودية وجماعات التنصير ، فقد كرسوا جهودهم ، وفعلوا كل ما يقدرون عليه من أجل إضلال المسلمين ، والسعي في فساد عقائدهم وأخلاقهم خوفاً من صحوة إسلامية تذيقهم الذل والهوان . والصحوة الإسلامية ، والحمد لله ، قد بدأت تباشيرها ، وطلائعها موجودة في كل بلد إسلامي . والثغر الذي يدخل منه الزنادقة والملحدون على الإسلام والمسلمين هي الأغاني والخمرة والمرأة . وسعيد من وعظ بغيره وشقي من وعظ به غيره ، فالبلاد الإسلامية التي وجد فيها التبرج والسفور والاختلاط حدث ولا حرج عن الانحلال والتدهور والضياع . وزاد الطين بلة أنه وجد ويوجد في كثير من بلاد الإسلام الوباء القتال الفيديو والمسارح والمراقص والأغاني الماجنة الخليعة . وإذا وجد ذلك فقل على الحياة العفاء وعلى أمة الإسلام السلام .

وختاماً أقول يجب ان تضافر الجهود من علماء الإسلام في إظهار الحق وإبطال الباطل، ومن أبطل الباطل الدعوة إلى التبرج والسفور. والحمد لله رب العالمين أن الذين كتبوا من لماء الإسلام في بيان وجوب الحجاب وتحريم السفور لا يحصون كثرة . ومنهم الأخ الفاضل عبيد بن عبد العزيز العبيد جزاه الله خيراً وأثابنا الله وإياه ثواب المحسنين والمصلحين ، وجعلنا الله وإياه من عباده المؤمنين ومن حزبه المفلحين . وقد قال ﷺ : « طوبى للغرباء الذين يصلحون إذا فسد الناس . وفي لفظ يصلحون ما أفسد الناس » . قال ذلك وأملاه صالح بن ابراهيم البليهي وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله واصحابه أجمعين .

صالح بن ابراهيم البليهي

١٤٠٦/٤/١١ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نستعينه ونستغفره ونعوذ به من شرور أنفسنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ، وخَلَقَ مِنْها زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً ونِسَاءً واتَّقُوا الله الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ والأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾(١) ، ﴿ يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا آتَّقُوا الله حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾(٢) ، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آتَّقُوا الله وَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيداً يُصْلِحُ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ، وَمَنْ يُطِعِ الله وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾(٣)(٤) .

---

(١) سورة النساء : ١ .

(٢) سورة آل عمران : ١٠٢ .

(٣) سورة الأحزاب : ٧٠ و٧١ .

(٤) من قولنا إن الحمد لله . . إلى قولنا (عظيماً) هذه خطبة الحاجة التي كان يعلمها الرسول أصحابه ، سنن أبي داود ٢ / ٥٩١ واللفظ له ، وانظر الترمذي ٣ / ٤٠٤ وابن ماجه ١/٦٠٩ والنسائي ٦ / ٨٩ ومصنف ابن أبي شيبه ٤ / ٣٨١ .

أما بعد :

فهذا بحث متواضع يتعلق بالتبرج والاحتساب عليه توخيت فيه الالمام بجوانب الموضوع وكيفية الاحتساب عليه ، مدعماً قولي بنص من كتاب الله تعالى ومن سنة رسوله ﷺ ، وأقوال العلماء في هذا المجال ، ولا أدعي أني وفيت الموضوع حقه وإنما حرصت على ذلك جهدي وطاقتي .

سبب اختيار الموضوع وأهميته :

وقد كثر الكلام حول المرأة ـ وخروجها من بيتها ومساواتها للرجل ـ وذلك بعد استقلال البلاد الاسلامية ، فمن مؤيد ومعارض لما قام به أصحاب الدعوات الباطلة والشعارات المضللة من دعوة إلى سفور المرأة وخروجها من البيت مدعين أنه سجنها الذي لا بد أن تخرج منه ، وكان المؤيدون أكثر ، في معظم البلاد الاسلامية وذلك حين تخلى المسلمون عن منهج الله الواضح الذي فيه قوتهم وهديهم ، وذلك المنهج هو كتاب الله الذي قال فيه ﴿ **إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً** ﴾[1] ، وسنة نبيه ﷺ التي قال عنها : (تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك)[2] .

ومع وضوح هذا المنهج الذي اعطى المرأة كرامتها وشخصيتها وأعطى لها من الحقوق ما كانت تتمناه المرأة الغربية والشرقية ، إلا أننا نرى من أبناء المسلمين من لم يكتف بالانسياق وراء السراب الخادع وإنما قام يدعو إلى ذلك السراب ، لذلك كان التبرج من مواضيع الساعة التي تحتاج إلى بحث عميق يشخص فيه الداء ويوضع له الدواء المناسب .

وقد قسمت بحثي هذا إلى مقدمة وتمهيد وفصلين وستة مباحث وخاتمة .

* اشتملت المقدمة على أهمية الموضوع وسبب اختياره ، وما حصل للمسلمين لما تخلّوا عن منهج الله

---

(١) سورة الاسراء : ٩.

(٢) مسند الامام أحمد ٤ / ١٢٦ ط المكتب الاسلامي ، سنن ابن ماجه ١ / ٤ .

* وأوضحت في التمهيد حال المرأة قبل الاسلام عند بعض الأمم ، وما كانت تلاقيه من إهانة وعدم احترام من الرجل وهضم لحقوقها .

* أم الفصل الأول : فهو عن التبرج ، وقسمته الى ثلاثة مباحث :

- اشتمل المبحث الأول على تعريف التبرج لغة واصطلاحاً ومظاهره في الجاهلية وصدر الاسلام والعصر الحديث .

- وتضمن المبحث الثاني الدوافع الداعية للتبرج والدعاة اليه، تكلمت فيه عن الظروف التي جعلت المرأة تخرج عن فطرتها وحيائها ، ومن ذلك وسائل الاعلام وحب التقليد والتأثر بالحضارة الغربية التي كان لها أنصار ومؤيدون من أبناء العالم الاسلامي ، عرضت نماذج من دعوتهم السافرة .

- أما المبحث الثالث : فقد اشتمل على العواقب الوخيمة الناتجة عن التبرج والاختلاط كالانصراف عن الزواج وتشتت الأفكار وكثرة السفاح وضياع الجهود .

* أما الفصل الثاني فقد تكلمت فيه عن الاحتساب على التبرج ،وقسمته إلى ثلاثة مباحث :

- اشتمل المبحث الأول على مشروعية الحجاب في الاسلام وذكرت فيه عورة المرأة ، كما تعرضت للخلاف في الوجه والكفين بين الفقهاء ، وذكرت أدلة كل فريق مع مناقشتها والترجيح .

- واشتمل المبحث الثاني على الاحتساب على التبرج في عصر صدر الاسلام ، وذكرت فيه تعريف الاحتساب وبينت الاحتساب في عهد الرسول ﷺ والتزام الناس للأوامر والنواهي وانكار النساء للتبرج ، وانكار الخلفاء والصحابة له .

- واشتمل المبحث الثالث : على الاحتساب على التبرج في العصر الحديث ، وتكلمت فيه عن مدى الاحتساب القائم في العالم الاسلامي عموماً ثم في المملكة العربية السعودية خصوصاً ، ثم تكلمت عما ينبغي أن يكون عليه الاحتساب .

* وأنهيت البحث بخاتمة بينت فيها أهم النتائج التي توصلت اليها من خلال هذا البحث ، فإن كنت وفقت فمن الله وأسأله العون على شكر هذه النعمة ، وإن كنت أخطأت فمني ومن الشيطان وأستغفر الله وأتوب اليه .

ولا يفوتني هنا أن أشكر إدارة « المعهد العالي للدعوة الاسلامية » التي كانت عوناً لي على إخراج هذا البحث ، حيث أتاحت لي مواصلة الدراسة في المعهد الى أن اخرجت هذا البحث .

كما أشكر كل من ساعدني على إخراج هذا البحث من قريب أو بعيد ، وأسأل الله التوفيق والعون إنه ولي ذلك والقادر عليه . . . .

الطالب

عبيد السلمي

التمهيـــد

حالة المرأة الاجتماعية قبل الاسلام

عندما استخلف الله الانسان في الأرض وحمله الأمانة العظمى التي ناءت الجبال والسموات والأرض عن حملها جعل لكل من الذكر والأنثى خصائص ومميزات تؤهله لحمل هذه الأمانة ، ولقد أكرم الله المرأة وأعطاها حقوقا تتفق وطبيعتها للقيام بأداء واجبها في هذه الحياة ، إلا أن حقوقها قد هضمت عبر العصور المتتالية ، فالناظر لحالتها ومكانتها عند الأمم من القسوة عليها أو الرحمة بها يرى أنها لم تبلغ مكانتها الاجتماعية التي تستحقها بما يتفق مع رسالتها العظيمة التي خلقها الله من أجلها .

فعند اليونان :

كان اليونان أكثر الأمم القديمة مدنية ، ولكن المرأة عندهم في غاية الانحطاط وسوء الحال ، فلم تكن لها في مجتمعهم منزلة أو مقام كريم[1]، فهي من سقط المتاع تباع وتشترى في السوق ، لا منزلة لها وخاصة في أثينا ،

---

(١) انظر : الحجاب للمودودي ص ١٢ .

فقد كان الرجل يتزوج بأي عدد شاء من النساء[1] وكانت الابنة في أثينا تكاد تكون متحجبة فلا تختلط بالذكور بل لا تجتمع بالفتيات إلا في أثناء الاحتفالات الدينية الرسمية[2] ، وكانت محرومة من التعليم ومن حقها في الميراث ، كما يسمونها رجساً من عمل الشيطان ، حتى أموالها لا تستطيع التصرف فيها دون موافقة الرجل الموكل اليه أمرها فأصبحت محرومة من كل الحقوق[3] ، هذا كان عند أهل أثينا[4] حيث عابوا على أهل اسبارطة[5] اطلاقهم حرية النساء حيث كانوا لا يسمحون للرجل بأكثر من زوجة ، أما المرأة فلها أن تتزوج بأكثر من واحد ، وكانت جميع النساء يمارسن هذه العادة وكانت المرأة عندهم أكثر خروجاً الى الشارع وأوسع حرية ، وذلك بسبب الحروب التي كانت تعيشها تلك المدينة[6] .

أما بالنسبة لحجابها فقد نقل محمد فريد وجدي[7] في دائرة معارفه عن (لاروس) أنه كان من عادة نساء اليونان القدماء أن يحجبن وجوههن بطرف مآزرهن أو بحجاب خاص كان يصنع في جزائر (كرسي ومرجوس) وغيرها . . وكان نساء مدينة (تيب)[8] يحتجبن بحجاب خاص وهو عبارة عن

---

(١) الاسلام والمرأة : سعيد الأفغاني ص ١٣ ، طـ دار الفكر بدمشق .

(٢) المرأة في القديم والحديث : عمر رضا كحالة ١ / ١٧٣ ط مؤسسة الرسالة .

(٣) الجنس الناعم في ظل الاسلام : سعيد عبد العزيز الجندول ، ص ١٣ ، طـ مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٠ هـ .

(٤) (أثينا) مدينة تاريخية في العالم الاغريقي القديم وهي عاصمة اليونان اليوم .

(٥) (اسبارطة) مدينة قديمة على نهر بوروتاس ببلاد الاغريق ازدهرت في القرن السابع قبل الميلاد ثم تدهورت في القرن السادس قبل الميلاد ، فلم تعن الا بالسلاح ، وفي القرن ١٩ الميلادي أقيمت على أطلال المدينة القديمة . مدينة جديدة ، الموسوعة العربية الميسرة جـ١ ص ١٣٧ .

(٦) المرأة بين الفقه والقانون : د. مصطفى السباعي ص ١٤ ، طـ ٣ المكتب الاسلامي .

(٧) محمد بن فريد بن مصطفى وجدي ، مؤلف دائرة المعارف ، ولد بالاسكندرية ونشأ بها ، له مؤلفات كثيرة منها (كنز العلوم واللغة) تولى تحرير مجلة الأزهر ، ت : بالقاهرة ١٣٧٣ هـ (الاعلام ٦ / ٣٢٩) .

(٨) مدينة يونانية اشتهرت بالقوة والمنعة ابان الحرب بين أثينا واسبارطة فاستولى عليها قائد اسبارطي اسمه (فيبيدوس) . (دائرة معارف القرن العشرين ١٠ / ١٠٥٤) .

غطاء يوضع على الوجه وله ثقبان أمام العينين لتنظر منهما المرأة[1] ، ومن هذا الافراط الى التفريط في أوج الحضارة اليونانية تبدلت حالة المرأة من سيىء الى أسوأ حيث تغلبت الشهوات النفسية على أهل اليونان فتبوأت العاهرات والمومسات مكانة عالية في المجتمع ، وأصبحت بيوتهن يؤمها سائر طبقات المجتمع ، يرأسن أندية العلم ومجالس الأدب ويحللن المعضلات السياسية ، وانتشرت المخادنة فكبار الفلاسفة وعلماء الأخلاق لا يرون في الزنا وارتكاب الفاحشة غضاضة يلام عليها المرء ويعاب[2] .

أما عند الرومان :

فلم يكن للمرأة في أول عهدهم قيمة تذكر، فقد كان التعدد دون قيد ولا شرط معمولا به وبالرغم من تحريم الامبراطور (جوستنيان)[3] للتعدد الا أنه بقي شائعا وكانت الزوجة الأولى تتحكم بالبقية وليس لهن حقوق ، وأولادهن من سقط المتاع في الهيئة الاجتماعية لا ميراث ولا حقوق[4] ، وكانوا ينظرون الى المرأة نظر المتعة والتسري ولا تعدو المرأة في نظرهم عن كونها نوعاً من أدوات الزينة في المنزل ، وللرجل عليها حق الوصية وحق السيطرة لعدم كفاءتها وعدم قدرتها الجسدية ، وعند موته يقذف بها في النيران معه اذا كان قد أوصى بحرق جثته[5] .

(ومن أهم أعمال النساء بعد تدبير المنزل الغزل وشغل الصوف وكن مغاليات فى الحجاب لدرجة أن القابلة (المولدة) كانت لا تخرج من دارها الا

---

(١) الأسرة تحت رعاية الاسلام : عطية صقر ٢ / ٢٩ ط ١ ١٤٠٠ - ١٩٨٠ مؤسسة الصباح .

(٢) انظر : الحجاب لأبو الأعلى المودودي ص ١٤ .

(٣) جوستنيان : يقال له بوستنيان الأول : امبراطور بيزنطي شن حربين كُبريين استعاد بهما أفريقيا وايطاليا وأعظم ما أنجز هو جمع القانون الروماني ، شيد بنايات كثيرة أهمها كنيسة أيا صوفيا (انظر : الموسوعة العربية الميسرة ٢٥ / ١٩٩١) .

(٤) الاسلام والمرأة : سعيد الأفغاني ص ١١ .

(٥) المرأة وحقوقها : د . محمد الصادق عفيفي ص ٩ ط رابطة العالم الاسلامي مكة ١٤٠٢ هـ . ونسب الكلام القانون الروماني وتشريع جستنيان لفاويز (مترجم) ٥ / ٢ ، ولم أستطع الحصول على هذا الكتاب .

مخفورة ووجهها ملثم باعتناء زائد وعليها رداء طويل يلامس الكعبين ، وفوق ذلك عباءة لا تسمح برؤية شكل قوامها)[1] .

وبعدما مضى العهد الأول وبدأ التقدم الحضاري عندهم وبدلت قوانينهم بدأت النساء بالظهور، فكانت المرأة الواحدة تتزوج رجلاً بعد آخر وتمضي في ذلك من غير حياء ، وبلغ بهم التطرف في آخر الأمر أن جعل كبار علماء الأخلاق منهم ، الزنى شيئاً عادياً ، فهذا (كاتو)[2] الذي أسندت اليه الحسبة الخلقية سنة ٨٤ قبل الميلاد يجهر بجواز اقتراف الفاحشة في عصر الشباب ، ولما تراخت عرى الأخلاق وصيانة الآداب في المجتمع الروماني الى هذا الحد اندفع تيار من العرى والفواحش وجموع الشهوات، فأصبحت المسارح مظاهر للخلاعة والتبرج الممقوت والعرى المشين ، وزينت البيوت بصور ورسوم كلها دعوة سافرة الى الفجور والدعارة والفحشاء ، ومن جراء هذا كله راجت مهنة المومسات والداعرات وانجذبت اليها نساء البيوت[3] .

المصريون القدماء :

أما المصريون القدماء فكانوا يحرصون على عفاف المرأة لدرجة أنهم كانوا يحكمون على الزاني بقطع أعضائه التناسلية ، وعلى المرأة بقطع أنفها ان كان الزنى برضاها ، وفي المحاكمة الأخروية تكون البراءة من الزنى ، ولكن مع هذا لم يوجبوا حجب المرأة عند الظهور في المجتمعات كالحقول والأسواق بدليل صورهم المنقوشة على الآثار ، وقد ظهرت فيها المرأة سافرة مع الرجال كما أن النساء عندهم يذهبن إلى الأسواق ويمارسن التجارة ، وأما الرجال فيبقون في البيوت وينسجون .

ولم يشدد على الحجاب الا في أيام الفتن الداخلية أو الخضوع لغزو

---

(١) المرأة في القديم والحديث جـ ١ ص ١٧٩ .

(٢) لعله السياسي الروماني : ماركوس بوركيوس كانو اشتهر بأنه أنزه القدماء وأطهرهم ذمة تولى القيادة في بوتيكا حتى انتحر عقب انتصار قيصر على اسكيبو عند تابسوس ٤٦ قبل الميلاد (الموسوعة العربية ١٤١٧) .

(٣) الحجاب : للمودودي ١٩ .

خارجي حيث كانت المرأة لا تأمن على نفسها عند الخروج ، يدل على ذلك ما جاء في النقوش التي عُثر عليها منذ عهد (رمسيس الثالث)[1] والتي يفخر فيها بالانتصار على الأعداء واقرار الأمن : (لقد أمكن لكل امرأة أن تسير خارج منزلها رافعة قناعها بلا خوف لأنه لم يعد أحد يتعرض لها . . .)[2] .

ولم تكن المرأة مهملة أو منبوذة عندهم بل كان يحسب لها في الأسرة حساب حيث تعيش بين أفراد أسرتها مستقلة عن الرجل تمام الإستقلال حرة في اعمالها مساوية له في جميع الشؤون[3] ، ومن عادتهم أن المرأة هي التي تبدأ بخطبة الرجل واختياره وذلك بالقاء قصائد غزلية تمهد لذلك ، فقد جاء في احدى هذه الرسائل : (أي صديقي الجميل اني أرغب في أن أكون بوصفي زوجتك في المستقبل صاحبة كل أملاكك)[4] ، ويقول ماكس مولز (ليس ثمة شعب قديم أو حديث قد رفع منزلة المرأة مثلما رفعها سكان وادي النيل)[5] .

المرأة في المجتمع الهندي:

وكانت المرأة في المجتمع الهندي هملاً لا يحسب لها أي حساب، وانحطت كرامتها الى أسفل درجة حتى حرمت من الحياة بعد وفاة زوجها فيجب أن تموت يوم موته وأن تحرق معه في موقد واحد ، وكتب في شريعتهم (أن الوباء والجحيم والموت والسم والنار والأفاعي خير من المرأة) .

وبلغت القسوة عليها حد الغلو حتى تُقَدَّمَ قرباناً للآلهة لطلب رضا ما لا يضر ولا ينفع، وذلك على أساس أنها ليست انساناً ذا روح بل حيوان دنس ، أولى به أن يباع ويبتاع[6] ، فهي لا تعدو أن تكون عبداً للرجل طول حياتها،

---

(١) هو : ثالث فراعنة الأسرة السادسة عشرة من عام ١٢٩٠ - ١٢٢٤ ق.م كان لامع الشهرة غنيا (أثره في التراث تزوج ابنة ملك خيثا) (١ / ٨٨٠ الموسوعة العربية الميسرة) .

(٢) الأسرة تحت رعاية الاسلام ٢ / ٢٨ ط ١ مؤسسة الرسالة ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م .

(٣) المرأة في القديم والحديث ١ / ١١٢ : عمر رضا كحالة .

(٤) قصة الحضارة : الجزء ٢ المجلد ١ صفحة ٩٨ ، ط لجنة التأليف بمصر ١٩٧١ م .

(٥) المرجع السابق ص ٩٦ .

(٦) المرأة بين الحجاب والسفور ص ١٤ لأبي رضوان زغلول .

وليس لها حق التصرف في أي أمر من الأمور الا بإذن الرجل وارادته . . . ففي مراحل طفولتها تتبع والدها وفي مرحلة شبابها تكون تابعة لزوجها[1] ، وعلماء الهنود الأقدمون يرون أن الانسان لا يستطيع تحصيل العلوم والمعارف ما لم يتخل عن جميع الروابط العائلية[2]، وفي أساطير مانو (عندما خلق النساء فرض عليهن حب الفراش والمقاعد والزينة والشهوات الدنسة . . .) .

وكانت المرأة تخاطب زوجها في خشوع قائلة : يا مولاي وأحياناً يا الهي، وتمشي خلفه بمسافة وقلما يوجه اليها هو كلمة واحدة، وكانت لا تأكل معه بل تأكل مما يتبقى منه[3] .

وقد نزلت النساء في هذا المجتمع منزلة الاماء ، وكان الرجل قد يخسر امرأته في القمار وكان في بعض الأحيان للمرأة عدة أزواج، فإذا مات زوجها صارت كالموءودة لا تتزوج وتكون هدف الاهانات والتجريح ، وكانت أمة بيت زوجها المتوفى وخادم الاحماء وقد تحرق نفسها على أثر وفاة زوجها تفادياً من عذاب الحياة وشقاء الدنيا[4] .

البابليون والآشوريون :

أما البابليون[5] والآشوريون[6] فكانت المرأة تكدح في الليل والنهار ومع هذا فهي حرة في الخروج الى المدينة من غير رقيب فتُشَاهَدْ في الشوارع مرتدية ثوبها الوبري المستطيل أو في السوق العام .

---

(١) المرأة وحقوقها في الاسلام ص ١١ ، ونسبه لقانون ماني المواد : ١٤٧ - ١٤٨ .

(٢) المرأة بين الفقه والقانون : د. مصطفى السباعي ، ص ١٨ .

(٣) الاسلام والمرأة المعاصرة : البهي الخولي ص ١١ ، ط ٤ دار القلم بالكويت

(٤) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين : لأبي الحسن علي الحسني الندوي ، ص ٥٢ ، الطبعة السادسة ، دار الكتاب العربي - بيروت .

(٥) بابل : فاعدة امبراطورية بابل وتقع على الفرات الى الشمال ، ازدهرت سنة ٣٠٠٠ ق.م ثم دمرت وأعيد بناؤها أيام نبوخذ نصر سنة ٥٦٢ ق.م وكانت حدائقها احدى عجائب الدنيا السبع (الموسوعة العربية الميسرة ١ / ٢٩٦) .

(٦) آشور : امبراطورية قديمة قامت بغرب آسيا حول مدينة آشور الواقعة في اعالي نهر دجلة وهي التي دمرت بابل وكانت قوتها في القرن ١٢ ق.م (الموسوعة العربية الميسرة ١ / ١٦٧) .

أما المثريات من النسوة الكلدانيات اللواتي يقتنين الأرقاء لخدمتهن فلم يكن لهن من الحرية ما كان للنساء من الطبقة المتوسطة ،فقد كان يبذل لهن كل ما كان في الامكان اقتناؤه بالمال ،ومع هذا ظللن قابعات في خدورهن ، واذا اتفق لهن أن يخرجن واكبتهن مواكب من الوصائف والخصيان والحجاب في صفوف متراصة بحيث يحجبون عنهن العالم الخارجي[١] .

وقد عرف الحجاب عندهم قبل موسى عليه السلام بخمسة قرون حيث وجد نظام للحجاب مطبق على الحرائر دون الاماء والعواهر ، بل كانت توقع عقوبات شديدة على الاماء والعواهر اذا تحجبن . . ومع ذلك كانت الأمة اذا خرجت مع سيدتها تتحجب وكذلك العاهرة اذا تزوجت[٢] .

المرأة عند الفرس :

ان المرأة في الامبراطورية الفارسية القديمة ليس لها أي قيمة بل هي تحت سلطة الرجل المطلقة ،وكان يحق له أن يحكم عليها بالموت أو ينعم عليها بالحياة طبقاً لما يراه وتطيب نفسه ، وبوجه عام فإنه كان يتصرف بها كما يتصرف بسلع وأدوات بيته[٣] .

وفي الرسوم والنقوش الفارسية القديمة لا تجد للمرأة أثراً ، وهذا ينبىء أن الحجاب كان مفروضاً عليها ، ويروى عن أحد ملوكهم أنه أقام مأدبة للرجال في مقصورته الخاصة بينما كانت زوجته تستقبل النساء في مقصورة أخرى، وعندما دعاها للظهور أمام الرجال امتنعت[٤] .

المرأة عند اليهود :

لقد دعت بعض طوائف اليهود الى أن يعتبروا البنت دون مرتبة أخيها ، وهبطوا بمنزلتها حتى سووها بالخدم ، ولا ترث مع اخوانها الذكور ، ولأبيها أن

---

(١) المرأة في القديم والحديث جـ١ ص ١٢٥ .
(٢) الأسرة تحت رعاية الاسلام ٢ / ٢٧ .
(٣) المرأة في القديم والحديث ١ / ١٣٣ .
(٤) الأسرة تحت رعاية الاسلام ٢ / ٢٩ .

يبيعها وهي طفلة أو دون البلوغ[1] ، كما يعتبرون المرأة لعنة لأنها أغوت آدم ، وقد جاء في التوراة : (المرأة أمرُّ من الموت وان الصالح أمام الله ينجو منها ، رجلاً واحداً بين ألف وجَدْتُ أما امرأة فبين كل أولئك لم أجد)[2] ، وتنص التوراة على أن المرأة المتوفى عنها زوجها تؤول الى أخيه تلقائياً في حالة عدم انجابها، ولا تحل لغيره الا اذا تبرأ منها[3] .

والشريعة التي جاء بها موسى فيها اكرام للنساء ومراعاة لحقوقهن ، فقد جاء في التلمود (أكرموا نساءكم لأنهن منبع حقيقي للبركات ، وكذلك أحبوهن كما تحبون أنفسكم وأكرموهن على أنفسكم لأنهن يقررن السلام في مساكنكم)[4] ، وقال موسى (لا تشته امرأة قريبك فمن يزن بامرأة قريبه يستحق الموت) ، والتلمود لا يعتبر القريب الا اليهودي فقط ، فإتيان زوجات الأجانب جائز ، وكل عقد نكاح عند الأجانب فاسد، لأن المرأة التي لم تكن من بني اسرائيل هي كبهيمة ، والعقد لا يوجد مع البهائم وما شاكلها حتى قال (ميمانود): إن لليهود الحق في اغتصاب النساء غير المؤمنات أي غير اليهوديات)[5] .

المرأة عند النصارى :

ويقول علماء النصارى (المسيحية) انه أولى للنساء أن يخجلن من أنهن نساء وأن يعشن في ندم متصل جزاء ما جلبن على الأرض من لعنات ، وقد غلا رجال الكنيسة حتى كان من الموضوعات التي يتدارسونها ، هل للمرأة أن تعبد الله كما يعبده الرجل؟ هل تدخل الجنة أو ملكوت الآخرة؟ هل هي انسان له روح يسري عليه الخلود ؟ أو هي نسمة فانية لا خلود لها ؟[6] .

---

(١) الاسلام والمرأة المعاصرة ص ١٤ .
(٢) المرأة بين الفقه والقانون ص ١٩ .
(٣) سفر التثنية ، الاصحاح ٢٥ ، الفقرة ٥ ـ ١٠ ، ص ٣١٨ ـ ٣١٩ .
(٤) المرأة في القديم والحديث ١ / ١٨٦ .
(٥) اليهودية : د. أحمد شلبي ، ص ٢٧٨ ، ط ٥.
(٦) الاسلام والمرأة المعاصرة ص ١٤ .

وقد كانت السبل مسدودة عن الفاحشة في أول عهد النصرانية ، حتى قضت على العرى في كل ناحية من نواحي الحياة، ودبرت الحيل والطرق المؤثرة لاستئصال شأفة الدعارة وجعلت المومسات الراقصات والمغنيات يتبن ويرتدعن عن عريهن ومكاسبهن الفاسدة[1] .

وعندما انتشرت الديانة المسيحية بمبادئها الروحية والخلقية خففت من القيود التي كانت تهمل المرأة وتدعو لنبذ آدميتها فكما دعت الى تخفيف سيادة الزوج دعت الى تخفيف سلطة الأب وقسوته وجعلت الميراث على أساس صلة الدم والقرابة[2] . والكنيسة الأرثوذكسية[3] حرمت المرأة من القيام بالواجبات الدينية الا التافه منها، وكانت المرأة محرومة في الهيئة الاجتماعية كل الحرمان ولا يسمح لها مطلقا أن تظهر للجمهور أو تحضر المآدب والحفلات[4] .

المرأة عند العرب في الجاهلية :

لم يكن للنساء عند العرب قيمة تميزهن عن نساء الأمم التي قبلهم حيث لا قيمة ولا كرامة للمرأة وقد نبأنا الله سبحانه وتعالى عن حالتها في الجاهلية في عدة مواضع من القرآن العظيم منها قوله تعالى ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ النحل: ٥٨، قال الطبري[5] عند تفسير هذه الآية: وإذا بُشر أحد هؤلاء الذين جعلوا لله البنات بولادة ما يضيفه إليه من ذلك ظل وجهه مسوداً من كراهته وهو كظيم، يقول قد كظم الحزن وامتلأ غماً بولادته له فهو لا يظهر ذلك.

روي عن ابن عباس[6] قال: ﴿ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما

---

(١) الحجاب للمودودي ص ٢١ .

(٢) المرأة وحقوقها في الاسلام ص ١٧ .

(٣) مجموعة الكنائس المسيحية في أوروبا وجنوب غرب آسيا (انظر الموسوعة ٢ / ١٤٨٧) .

(٤) المرأة في القديم والحديث ص ٢٠٠ .

(٥) الطبري : هو محمد بن جرير أبو جعفر ، من أهل طبرستان ولد سنة ٢٢٤ هـ كان يكتب كل يوم أربعين ورقة ، وله تصانيف عدة منها : التفسير ـ والخفيف في الفقه ، توفي سنة ٣١٠ هـ (سير أعلام النبلاء ١٤ / ٢٦٧).

(٦) عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ابن عم رسول الله ﷺ أمه أم الفضل لبابة بنت الحارث =

يشتهون﴾ وقال: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنْثَى﴾. الآية يقول: يجعلون لله البنات ترضونهم لي ولا ترضونهم لأنفسكم، وذلك أنهم كانوا في الجاهلية إذا ولد للرجل منهم جارية أمسكها على هون ودسها في التراب وهي حية.

وعن قتادة (١): هذا صنيع مشركي العرب أخبرهم الله تعالى بخبث صنيعهم.. وكان أحدهم يغذو كلبه ويئد ابنته(٢).

قال النيسابوري(٣): (كانوا مختلفين في قتل البنات فمنهم من يحفر الحفيرة ويدفنها الى أن تموت، ومنهم من يرميها من شاهق جبل، ومنهم من يفرقها ومنهم من يذبحها، وكانوا يفعلون ذلك تارة للغيرة والحمية وأخرى خوفا من الفقر والفاقة ولزوم النفقة)(٤).

ومن الآيات الواردة عن حال النساء في الجاهلية قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الموءُودَةُ سُئِلَتْ﴾ التكوير: ٨.

والموؤدة المدفونة حية، وكذلك كانت العرب تفعل ببناتها ومنه قول الفرزدق(٥):

ومنا الذي أحيا الوئيد وغالب وعمرو ومنا حاملون ودافع

= الهلالية، ولد قبل الهجرة بثلاث سنوات روي أنه رأى جبريل مرتين، يقال له حبر العرب، دعا له النبي بالحكمة ومعرفة الفقه في الدين ويسمى بالبحر، مات بالطائف سنة ٦٨ هـ (الاصابة ٤ / ١٤١).

(١) قتادة ابن دعامة السدوسي البصري كان أعمى يكنى أبا الخطاب، يقول: ما في القرآن آية الا قد سمعت فيها بشيء، أحفظ أهل البصرة وقيل أهل العراق، توفي سنة ١١٨ وعمره ثمان وخمسون سنة، ترجم له في الجرح والتعديل ٧ / ١٣٣.

(٢) تفسير الطبري ٧٦/١٤ طـ الميمنية بمصر.

(٣) العلامة ابو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب بن أيوب المفسر الواعظ صاحب كتاب (عقلاء المجانين) صنف في التفسير والآداب ت ٤٠٦ هـ (سير أعلام النبلاء ١٧ / ٢٣٧).

(٤) تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري ١٤ / ٧٧ هامش تفسير الطبري طـ الميمنية بمصر.

(٥) الفرزدق: أبو فراس همام بن غالب بن صعصعة بن ناجية التميمي البصري، شاعر مشهور كان له نقائض مع جرير والأخطل النصراني ت ١١٠ هـ (سير أعلام النبلاء ٤ / ٥٩٠).